هورست أفهيلد

اقتصاد يغدق فقراً: التحول من دولة التكافل الاجتماعي إلى المجتمع المنقسم على نفسه

ترجمة عدنان عباس علي

(الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٧). ٣٦٠ ص.
(عالم المعرفة؛ ٣٣٥)

سقطت المنظومة الاشتراكية في أوروبا الشرقية، واجتاحت اقتصاديات دول هذه المنظومة مناهج ليبرالية أدانت الاشتراكية، وانتقدت مضمونها وتوجهاتها. والكتاب الذى يحمل عنوان: **اقتصاد يغدق فقراً: التحول من دولة التكافل الاجتماعي إلى المجتمع المنقسم على نفسه**، يشتمل على بابين يضم كل منهما ثلاثة فصول. **الباب الأوّل** وهو بعنوان «وداعاً أيتها الرفاهية»، ويحمل **الفصل الأول** منه عنوان «الوهم الكبير» الذي يوضح أن التفاوت في توزيع الدخول في معظم الاقتصاديات الصناعية في أوروبا في تفاقم مستمر، وأن هناك تحولات جذرية باتت تنشر ظلالها على الحياة الاجتماعية: ففي الوقت الذي ترتفع فيه دخول المشاريع وأصحاب الثروة بمعدلات تفوق معدلات نمو الناتج القومي الإجمالي بكثير، ظلت دخول العاملين بأجر عند مستواها المعهود، أيّ أن النمو الاقتصادي لم يعد يترك أي أثر يذكر في نمو هذه الدخول. ويوضح هذا الفصل أن تزايد إنتاجية العمل تقضي على فرص العمل بحسبان أنّه كلّما كانت كمية السلع التي ينتجها العامل في الساعة الواحدة أكبر كانت ساعات العمل التي يحتاجها لإنتاج الكمية نفسها من السلع التي كان ينتجها سابقاً أقل. وإذا لم نفلح في زيادة الطلب على السلع بمقدار يتناسب مع مقدار النمو الحاصل في إنتاجية العمل، فستكون حاجتنا إلى ساعات العمل أدنى ـ أي أننا سنكون أقل حاجة للأيدي العاملة.

ويشير **الفصل الثاني**، وهو بعنوان «من يتحمل الأعباء: رأس المال أم العمل؟» إلى أن الحكومات قد صارت ترمي العبء الضريبي على كاهل عنصر العمل أكثر فأكثر منذ شرعت في تطبيق المنهج الليبرالي المحدث، وأن الهوة بين دخول العاملين بأجر، ودخول الشركات، وأصحاب الثروة تتزايد اتساعاً منذ ما يزيد على العقدين من السنين. وكان من الضروري أن يفرز اتساع الهوة في توزيع الدخول تبايناً متزايداً في توزيع الثروة أيضاً. ويرى المؤلّف أن تراجع

الكثافة السكانية فرصة جيدة لتحسين جودة الحياة، إلا أن الشرط الضروري لتحقق هذه الفرصة يكمن في أنّ تتكيف الدولة ومعها الاقتصاد مع هذا التطور. وإذا كانت مسألة الكثافة السكانية لا تشكل مشكلة ذات أهمية، إلا أن التغيرات التي تطرأ على الهرم السكاني يمكن أنْ تنطوي على مشكلة تشغل البال لأن نسبة مرموقة ممن هم في سنّ العمل بين ٢٠ و٥٩ سنة سيكون أقل في ضوء تراجع الكثافة السكانية.

ويناقش **الفصل الثالث** الذي يحمل عنوان «الحلول السياسية وإشكالياتها»، الإجراءات التي تتخذها حالياً الحكومات للتعامل مع الأزمة الاقتصادية والاجتماعية. ومن تحليله لهذه الإجراءات يستنتج المؤلّف أن غالبية هذه الإجراءات مضيعة للوقت، فهي عاجزة بالكامل عن حلّ المشاكل الهيكلية والمعضلات الجذرية، وأنها لن تساعد على تخفيف الظلم اللاحق بالعاملين بأجر ناهيك بأن تساعد على إلغاء هذا الظلم كلياً، فالمشكلة الجذرية بحسب تصوراته في السوق العالمية المحررة من القيود وفي الانفتاح الاقتصادي على هذه السوق.

ويرى أفهيلد أننا، إن رفضنا العيش في المجتمع الجديد مجتمع الحصون والقلاع لن يكون أمراً يسير التحقيق، فعلينا أن نستعد لاتخاذ التدابير الضرورية لتحقيق تحولات سياسية جوهرية وكثيرة أيضاً، إلا أن تحقيق هذه التحولات يظل أمراً مشكوكاً فيه، فنحن لا نرى في الأفق أن ثمة قوة سياسية قادرة فعلاً على القضاء على النظام المختل المتحكم في مصائرنا في الوقت الراهن، وفي هذا السياق لا مندوحة لنا من أنْ نسأل أنفسنا عن ماهية التحولات التي نريدها، وعن الخلل الموجود في الاقتصاد العالمي السائد حالياً، وعما إذا كان تدهور ظروف الحياة في أوروبا ـ وفي أمريكا الشمالية والجنوبية أيضاً ـ هو الثمن الذي يتعين علينا دفعه لتنمية باقي بلدان العالم الثالث.

ويناقش **الباب الثاني**: «اقتصاد عالمي غير مجد: هل نحن بحاجة إلى نظام عالمي آخر؟» جملة من الوقائع والأفكار ووجهات النظر المستقبلية، ففي **الفصل الرابع** المعنون «انعكاسات السوق العالمية الحرة على الاقتصاد الألماني»، راح المؤلف يدحض زيف مقولة إن التجارة الحرة خير وسيلة لتعزيز النمو الاقتصادي. ويلفت النظر إلى أن التجارة المتنامية الحجم لم تؤد إلى نمو جميع النواتج القومية المتحققة في البلدان المشاركة في التجارة العالمية ويؤكّد أنَّ المطلوب هو اقتصاد عالمي أفضل كفاءة.

وفي **الفصل الخامس** «خصائص النظام الاقتصادي الكفيل بتحقيق الرفاهية للجميع»، يناقش المؤلف ملامح وسمات هذا النظام العالمي الكفء، ويذهب إلى مناقشة القواعد المناسبة لتوجيه السوق ومراجعة خصائص المعايير الاجتماعية المناسبة للدول النامية ويشرح كيف يمكن لدولة نامية أن تبلغ مرحلة الاقلاع (Take- off).

ويحمل الفصل **الأخير**، «إلى أين يفضي الدرب»، تصورات المؤلّف بشأن النظام الاقتصادي العالمي من أجل تخطي النتائج السلبية التي أفرزتها العولمة وما نشأ عنها من بطالة جماهيرية، وتفاوت في توزيع الخيرات، ووهن في الأداء الحكومي

وتراجع في معدلات النمو الاقتصادي وتفكك في البنية الاجتماعية.

وبحسبان هذا فإن الضرورة تقتضي تأسيس نظام جديد للاقتصاد العالمي، ويؤكّد أنّه لانجاح يؤمل ما لم تكن هناك إرادة سياسية قادرة على تنفيذ الإجراءات المطلوبة. ولأن الولايات المتحدة الأمريكية ستبقى أعظم إقليم من حيث قدرتها على التأثير في مسيرة العالم، لذا فإن من الممكن جداً أن يكون توازن القوى بين الأقاليم المختلفة، المستقلة بعضها عن البعض الآخر اقتصادياً في مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية نفسها، وأخيراً يتساءل: أي أوروبا نريد؟ والإجابة، إنّها أوروبا التي لا تخضع لتهديد القطب الأوحد والتي تستخدم آليات تمكنها من التأثير في الأحداث ومن الصمود في وجه أقوى قوة في العالم: الولايات المتحدة الأمريكية ■

صدر حديثاً

فكر ابن خلدون
الحداثة والحضارة والهيمنة

مجموعة من الباحثين

«لا يزال بعض الموسوعات الفلسفية ـ العربية ـ (على قلتها) والغربية (على كثرتها) ـ يُغفل إفراد مادة لابن خلدون، وبعض هذا الإغفال يبرر بأن ابن خلدون هو بالدرجة الأولى عالم الاجتماع الأول أو مؤسس علم الاجتماع وبالدرجة الثانية مؤرخ للحضارة.

ابن خلدون عاد منذ سنوات يطل في الموسوعات الفلسفية وفي كتب الفلسفة، ولم يكن ذلك لمجرد الاحتفاء به في الذكرى الستمائة لوفاته (التي حانت في عام ٢٠٠٦).

وكما يشهد الكتاب الذي نضعه بين يدي القارئ في هذه الطبعة من «سلسلة كتب المستقبل العربي» فإن ابن خلدون يعود ـ ليس فقط من باب الفلسفة الذي أوصده بعضهم في وجهه ـ إنما يعود أيضاً من باب المعاصرة.

نحن في هذا الكتاب أمام ابن خلدون فيلسوفاً.. ومعاصراً. يطل كمشارك في قضايا الفلسفة كأنه معاصر لنا.

١٤٢ صفحة
الثمن: ٤ دولارات
أو ما يعادلها

صدر حديثاً
عن المنظمة العربية للترجمة

المنظمة العربية للترجمة

١ ـ الأديان العامة في العالم الحديث	تأليف :	خوسيه كازانوفا
	ترجمة :	قسم اللّغات الحيّة والترجمة في جامعة البلمند
٢ ـ مرايا الهوية: الأدب المسكون بالفلسفة	تأليف :	جان ـ فرانسوا ماركيه
	ترجمة :	أ. كميل داغر
٣ ـ نقد ملكة الحكم	تأليف :	إمانويل كَنْت
	ترجمة :	غانم هنا
٤ ـ علم الاجتماع	تأليف :	أنتوني غِدِنْز
	ترجمة :	د. فايز الصُيّاغ
٥ ـ الذات عينها كآخر	تأليف :	بول ريكور
	ترجمة :	د. جورج زيناتي
٦ ـ السيميائية وفلسفة اللغة	تأليف :	أمبرتو إيكو
	ترجمة :	أحمد الصمعي
٧ ـ منطق البحث العلمي	تأليف :	كارل بوبر
	ترجمة :	د. محمد البغدادي
٨ ـ فنومينولوجيا الروح	تأليف :	هيغل
	ترجمة :	د. ناجي العونلّي
٩ ـ مقالات في الفرداني (منظور أنثروبولوجي للأيديولوجية الحديثة)	تأليف :	لويس دومون
	ترجمة :	د. بدر الدين عرودكي
١٠ ـ مقالة في الميتافيزيقا	تأليف :	لايبنتز
	ترجمة :	د. الطاهر بن قيزة
١١ ـ في سبيل منطق للمعنى	تأليف :	روبير مارتان
	ترجمة :	الطّيّب البكّوش، صالح الماجري
١٢ ـ عصر الثورة	تأليف :	إريك هوبْزْباوْم
	ترجمة :	د. فايز الصُيّاغ

بناية شاتيلا، شارع ليون ـ ص.ب: ٥٩٩٦-١١٣ الحمراء ـ بيروت ٢٠٩٠ ١١٠٣ ـ لبنان هاتف: ٧٥٣٠٣١ (٩٦١١) فاكس: ٧٥٣٠٣٢ (٩٦١١)
e-mail: info@aot.org.lb web site: http://www.aot.org.lb